هوامش

بعدما تكدّست الجثث في المستشفيات وعلى الطرقات، استحدثت الحكومة الإكوادورية وحدة جديدة في الشرطة، خاصة لمعاينة أجساد ضحايا فيروس كورونا. هنا جولة مع إحدى هذه الوحدات

تطهير جثة شخص توفي بفيروس كورونا وجدتها الشرطة في الشارع في العاصمة كيتو (كريستينا فيغا رور/فرانس برس)

وحدة كوفيد

عناصر شرطة بمهام «وبائية» في الإكوادور

باختصار

أصيبت المشارح بتخمة في مدينة غواياكيل أحد أكبر المرافئ في جنوب غربي البلد، فتكدّست الجثث في المنازل وحتّى في الشوارع.

■■■

أنشأت الحكومة «وحدة كوفيد» المؤلّفة من عناصر من وحدة علم الجريمة، إلى جانب طبيب موفد من وزارة الصحة وأعضاء من خدمة دفن الموتى وطاقم للتعقيم.

■■■

منذ إبريل/نيسان، توفّي في كيتو نحو 300 شخص بشكل مباغت في منازلهم أو في الشارع.

تحاول كل دول العالم، ابتكار طرق جديدة للحد من تفشي فيروس كورونا، ولفرض قواعد التباعد الاجتماعي، وارتداء الكمامات. في الهند مثلاً أو حتى في بعض الدول الأفريقية، تلاحق الشرطة المخالفين في الطرقات وتضربهم بعصي غليظة، في عقاب جسدي، أثار استياء المنظمات الحقوقية حول العالم.

في أميركا الوسطى والجنوبية، حيث تفشّى الوباء بشكل كبير، ومن دون أن تقوم الحكومات بداية بأية إجراءات حازمة (البرازيل والمكسيك على سبيل المثال)، تحوّل «كوفيد ـ 19» إلى ما يشبه شبح الموت المتنقّل من مدينة إلى مدينة ومن بيت إلى بيت. إلا أن الصور الأكثر حزناً كانت تأتينا منذ بدء الوباء من الإكوادور، إذ انتشرت على وكالات الأنباء ومواقع التواصل الاجتماعي، صور الجثث المرمية في الشوارع وعلى أبواب المستشفيات، بعدما فشلت السلطات في مواكبة عدد الموتى المرتفع جداً. لكن بعد أشهر من تفشّي فيروس كورونا، بدأت الحكومة بابتكار أساليبها الخاصة، للتماشي مع عدد الوفيات المرتفع، ومع تكدّس الجثث.

هكذا تعرّف الإكوادوريون على «وحدة كوفيد» في الشرطة، وهي وحدة مؤلّفة من عناصر من وحدة علم الجريمة، إلى جانب طبيب موفد من وزارة الصحة وأعضاء من خدمة دفن الموتى وطاقم للتعقيم، وقد استُحدِثت هذه الوحدات الخاصة في مختلف المناطق لتخفيف الضغط على خدمات الاستشفاء ودفن الموتى.

ففي بداية الموجة الوبائية، أصيبت المشارح بتخمة في مدينة غواياكيل، أحد أكبر المرافئ في جنوب غرب البلد، فتكدّست الجثث في المنازل وحتّى في الشوارع. وبعدها تحوّلت مدينة كيتو إلى بؤرة لانتشار العدوى في البلاد، فحشدت الحكومة الشرطيين المتخصصين في علم الجريمة لتولّي حالات الوفاة خارج المستشفيات.

وكالة «فرانس برس» رافقت إحدى هذه الوحدات في مهامها خلال يوم، فتنقلت مع الشرطي وليام يوغزي الذي تخلّى عن السلاح الذي يحمله خلال دوام العمل وارتدى بزّة وقائية ليقصد مسرح جريمة من نوع جديد في كيتو، فالضحية توفيت فجأة وهي جالسة على الأريكة وفي يدها كوب ماء وبسكويت إثر هجوم... من فيروس كورونا.

ويتولّى هذا الشرطي البالغ من العمر 38 عاما دراسة وضعية الجسم الشديد التصلّب، والتحقّق من وجود أيّ علامات للعنف في مسكن متواضع في كيتو.

الشخص الضحية هو بابلو ساسيغ عامل توصيل في الثامنة والأربعين من العمر عاطل من العمل أصيب بـ«كوفيد ـ 19». جلس في إحدى الليالي على أريكة بجانب سريره عندما كان أفراد العائلة الآخرون نائمين، بحسب ابنه رودريغو (23 عاماً). ووجدته والدته روزا (78 عاما) صباحاً وهو لا يزال على أريكته. فلمست جبينه لمعرفة إن كان مصاباً بالحمى وحاولت إيقاظه ولكن عبثاً حاولت. وعندما تلقّت الشرطة اتصالها، أوفدت إلى منزلها إحدى «وحدات كوفيد» البالغ عددها 15 وحدة. وسُجلّت في الإكوادور حيث تعيش 17،5 مليون نسمة قرابة عشرة آلاف وفاة خلال ستة أشهر من أصل أكثر من 105 آلاف إصابة مؤكدة. ولا يخفي يوغزي أنه يخشى انتقال العدوى إليه، لكنه يؤكد أنه ينفّذ مهامه «بوقار». هكذا وصلت الوحدة إلى الموقع في سيارة دورية مع إطفاء الصفّارة. وقبل دخول بيت ساسيغ، ارتدى العناصر البزّات الواقية من قمّة الرأس إلى أخمص القدمين.

بداية، دخل الموقع العنصر المكلّف تعقيم الجثّة والغرفة. خلفه دخل الطبيب ثمّ عناصر الشرطة. ولا تتولّى خدمة دفن الموتى مهامها إلا عندما يسمح لها بنقل الجثّة، علماً أنه يعود للأقارب أن يقرّروا ما إذا كانوا يريدون دفن الميت أو حرق جثّته. بعدها أخذ أنخيل ميدينا، وهو أيضاً شرطي متخصص في علم الجريمة، بصمات أصابع بابلو ساسيغ لمقارنتها بتلك المحفوظة في السجلّات الرسمية بغية تأكيد هويّة الضحية. والتقط يوغزي صورة أخيرة تظهر وجه الرجل مع لاصقة تبرز اسم الضحية «15149» ورقم هويتها توضع حول معصم اليد اليمنى.

ومنذ إبريل/نيسان، توفّي في كيتو نحو 300 شخص يشتبه في إصابتهم بـ«كوفيد ـ 19» أو كانت إصاباتهم مثبتة، وجاءت وفيات هؤلاء مباغتة، فحصلت في منازلهم أو في الشارع، أو في السيّارة خلال توجّههم إلى المستشفى أو في عيادات طبية، بحسب السلطات.

وشهدت الوفيات الناجمة عن أسباب طبيعية ارتفاعاً شديداً بأكثر من 28200 حالة بين كانون الثاني/يناير وتموز/يوليو مقارنة بالفترة عينها من العام 2019، بحسب دائرة الأحوال المدنية. وكما الحال في بلدان أخرى، يُعتقد أن الأرقام الفعلية هي أعلى في الواقع.

(العربي الجديد)

وأخيراً

موت بطيء

سما حسن

قالت جدّاتنا قديمًا، وهنّ يُشرن إلى طفل صغير «حي موت»، وهو مصرّ أن يتقافز، مثل البرغوث، ولا أحد يزجره؛ بسبب شغبه البالغ، بل على العكس، يبدو الجميع مبتهجًا أنه يتحرّك، ويثير الفوضى المحبَّبة، في المكان، فيما تعلّق الجدّة للمرّة الثانية، مبتهجة: هذا الولد «حيّ موت»، وتعبيرها هذا يعني أنه قد تمّ إنقاذه من الموت بمعجزة، ولكنها لا تصف بالتأكيد اللحظات، أو الساعات، التي كان يموت فيها الصغير موتًا بطيئًا، حتى أتته نجدة، أو نزلت عليه رحمة السماء، وهو على سرير الشفاء.

مؤكّد أن الجدّة تتحدّث عن موتٍ محتَّم، كان ينبغي أن يصيب الطفل الصغير، ولكنه نجا بأعجوبة، وعند هذا الحدّ شكرت الله، وحمدته كثيرًا، وأطلقت عليه اسم « حيّ موت»؛ لكي يهتمّ به المحيطون، وكلُّ من يسمع لقبه، وربما رفع أحدهم حاجبه مستهجنًا اللقب مستفسرًا عن قصة نجاته التي سوف يرويها الجميع، أيضًا، حتى يموت ميتته الأخيرة على فراشه، أو بسبب حادثٍ ما، وربما طال به العمر، حتى مات بعد أن صدمته سيّارة يقودها شابٌّ مستهتر، وهنا ستطلُّ الجدّة من مكانها، وتقول في صوت مشروخ، هو صوت العجائز غالبًا: سبحان الله لم يمت، حين بقي تحت أنقاض بيتهم المهدم ثلاثة ايّام، ومات بحادث سيّارة، ثم تُسلِم الروح هي أيضًا، وتترك القصة لغيرها؛ كي يرويها.

دائما هناك قصصٌ مفزعة وغريبة تحت الأنقاض، ووراء كلِّ فاجعة، مثل الانفجارات والزلازل، وآثار الحروب، هناك الأنقاض التي يتوقَّع أن يكون تحتها أشخاصٌ على قيد الحياة، وتبدأ جهود البحث الحثيثة عنهم، من حكومة البلد، والفرق المتطوِّعة المتخصِّصة، في هذا المجال الصعب والوعر المسالك.

يقول جون هولاند، مدير العمليّات في منظَّمة «رابيد»، وهي منظَّمة خيرية يتلقّى أعضاؤها التدريبات الصارمة، عامين، قبل أن ينطلقوا حول العالم، في رحلات إنقاذ، وبحثٍ تحت الأنقاض؛ بسبب الكوارث الطبيعية، أو الحروب، أنَّ عمليَّات الإنقاذ تمرُّ بخمس مراحل صعبة ومتتالية، تبدأ بمرحلة جمع المعلومات عن المكان الذي سيبحثون فيه، عن ناجين، وقياس درجة الخطورة، وإمكانيَّة وجود أحياء، وتمرّ عمليَّة البحث بمراحلها المتتابعة؛ من النَّبْش والإنقاذ، حتى تنتهي بمرحلةٍ صعبةٍ تُعرف بمرحلة الإغلاق، وهي مغادرة الفريق المكان، بعد أن يفقدوا الأمل في وجود أحياء تحت الأنقاض، أو بالعثور على جثثٍ تضع نهاية مأساويَّة لآلام الأحياء الذين توقَّعوا أن يعثروا على أحبَّتهم.

قام فريق بحث من تشيلي في بيروت بعمليَّة بحث، في منطقة الانفجار الذي مرّ عليه أكثر من شهر، وتتبَّعوا بواسطة كاميرات حراريَّة نبضات قلب، سرعان ما تباطأت، وقد كانت الإشارات تفيد بوجود طفل على قيد الحياة، ربما تحت جثَّة شخص كبير، أو بجوارها، وظلُّوا يتتبَّعون النبضات، حتى تَباطأت، وأصبحت سبع نبضات في الدقيقة، ثم توقّفت، وتوقّفت عمليَّات البحث؛ بسبب مخاطرها، فهناك خطر انهيار أحد الجدران المتصدِّعة في المبنى؛ ما يشكِّل تهديدًا لحياة الفريق الذي غادر المكان، بكلِّ أسى.

> على الجدّات اللواتي أطلقن لقب «حيّ موت» على من يتمّ إنقاذه من موت محتّم أن يطلقن عليه «موت بطيء»

ربما كانت هذه النبضات لطفل فعلًا. علينا أن نتخيَّل الموت البطيء الذي عاشه، وهو بين الأنقاض، وفي مكانٍ معتم، وبجواره، أو فوقه جثّة. تخيَّلوا الرعب الهائلَ الذي عاشه، وربما أيّ حركة كانت بالنسبة له كارثة، وإن كان كثيرون يستبعدون التخمينات؛ فأبعدُ تسجيل لحالة بقاء بين الأنقاض سجّلتها «رابيد» لم تزد عن خمسة أيّام، سُجِّلت لصبيَّة في باكستان.

يقول المنقذون إنّ من ضمن خطوات الإنقاذ أنْ يتمَّ غَلْق أعين الأشخاص الذين يتمُّ انتشالهم من بين الأنقاض؛ حتى لا يُصابوا بالعمى؛ لأن عيونهم تعوّدت على الظلام، فترة طويلة، ويبدو أن لا عذاب أشدّ وأقسى من أن تبقى مفتوح الأعين، ولا ترى حولك مدّة طويلة، وتعيش الخوف، ثم ينقذونك، ويقولون لك: مارِس حياتك، كما كانت سابقًا..

على الجدّات اللواتي أطلقن لقب «حيّ موت» على من يتمّ إنقاذه من موت محتَّم أن يطلقن عليه لقب «موت بطيء».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**